

# الحكمة

## عناصر الموضوع

|    |                             |
|----|-----------------------------|
| ٣٦ | مفهوم الحكمة                |
| ٣٨ | الحكمة في الاستعمال القرآني |
| ٤٠ | الألفاظ ذات الصلة           |
| ٤٢ | الحكمة نعمة إلهية           |
| ٤٦ | الحكمة من صفات الله تعالى   |
| ٥٣ | وصف القرآن الكريم بالحكمة   |
| ٥٦ | وصف الرسل والصالحين بالحكمة |
| ٦٩ | مجالات الحكمة               |
| ٧٤ | آثار الحكمة                 |

## مفهوم الحكمة

### أولاً: المعنى اللغوي:

قال ابن فارس: «الحاء والكاف والميم أصل واحد، ومعناه المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها، ويقال: حكمت السفينة وأحكمتها، إذا أخذت على يديه<sup>(١)</sup>.  
قال جرير<sup>(٢)</sup>:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم  
إني أخاف عليكم أن أغضبوا  
والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، والمحكم: المجرب المنسوب إلى الحكمة<sup>(٣)</sup>.

والحكيم، هو ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، وعرف الحكم في اللغة بأنه الحكمة من العلم، وصاحب الحكمة هو المتقن للأمور.  
ولو تدبرنا معاني الحكمة في اللغة على نحو ما سبق لوجدنا أن مدارها على شيئين: أولهما: المنع، لأنها تحكم صاحبها أو المتصف بها من الوقوع فيما يذم عليه أو يلحقه الندم، وثانيهما: الفطنة في تدبير الأمور وحسن إدارتها، من حيث تقديم الأهم على المهم، وتقديم الفاضل على المفضول<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

للحكمة في الاصطلاح تعريفات عدة نختار منها ما يأتي:  
أن الحكمة هي: «معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان، وهذا التعريف للإمام مجاهد والإمام مالك، وقد قال عنه ابن القيم: «إنه أحسن ما قيل في الحكمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/ ٩١.

(٢) بيت جرير في: ديوان المعاني، العسكري ١/ ٨٩، خزنة الأدب، البغدادي ٩/ ٢٣٦.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ١٤٣.

(٤) انظر: الحكمة، ناصر العمر ص ٩.

(٥) التفسير القيم، ابن القيم ص ٢٢٦.

- أنها «ضرب من العلم يمنع من ركوب الباطل»<sup>(١)</sup>.  
 أنها «خروج نفس الإنسان إلى كمالها الممكن»<sup>(٢)</sup>.  
 ومن التعريفات المعاصرة للحكمة:  
 أ- أنها «العلوم النافعة والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال»<sup>(٣)</sup>.  
 ب- أنها: «القصْد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، والبصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال»<sup>(٤)</sup>.  
 ج- أنها «وضع الشيء في موضعه»<sup>(٥)</sup>.  
 د- أنها: «فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي»<sup>(٦)</sup>.  
 التعريف المختار:  
 الذي يمكن للباحث اختياره استخلاصًا من التعريفات السابقة أن الحكمة «ملكة فطرية أو مكتسبة يمكن بها وضع الأمور في مواضعها أقوالاً وأفعالاً وأحكاماً وفق رؤية ودراية». فالصلة بين المعنى الاصطلاحي واللغوي وثيقة جداً؛ إذا كلاهما يدلان على تدبير الأمور وحسن إدارتها والمنع من ركوب الباطل.

(١) نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي ١/ ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٣٢.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٣١٢.

(٥) انظر: معجم لغة الفقهاء، قلعجي والقنبي ص ١٨٤، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله، ناصر الحميد ص ٢٩.

(٦) الحكمة، ناصر العمر ص ١٩.

## الحكمة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (أحكم) في القرآن الكريم (١٢٣) مرة<sup>(١)</sup>.  
والصيغ التي جاءت هي:

| الصيغة        | عدد<br>المرات | المثال                                                                                                                                 |
|---------------|---------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الفعل الماضي  | ١             | ﴿الرَّكَابُ أَهْكَمْتَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾<br>[هود: ١]                                          |
| الفعل المضارع | ١             | ﴿فَيَنْسُخِ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْدِيَهُمْ<br>وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ [الحج: ٥٢]          |
| المصدر        | ٢٠            | ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ<br>أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]                          |
| الصفة المشبهة | ٩٧            | ﴿وَلِلَّهِ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: ٦]                                                             |
| اسم التفضيل   | ٢             | ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْحَكِيمِينَ ۝٨﴾ [التين: ٨]                                                                              |
| اسم المفعول   | ٢             | ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ<br>الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] |

وجاءت الحكمة في القرآن على خمسة وجوه<sup>(٢)</sup>:

أحدها: وضع الأشياء مواضعها، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [التغابن: ١٨]، يعني: الموصوف بالحكمة، لا يدع معاملة الناس بما تقضيه الحكمة من وضع الأشياء مواضعها، ونوط الأمور بما يناسب حقائقها.  
والثاني: الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّذْرُؤُ ۝٥﴾ [القمر: ٥]، يعني: موعظة قد بلغت الغاية، ووصلت إلى النهاية.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢١٣-٢١٥، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب الحاء ص ٤٧٤-٤٥٠.  
(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ١٧٤، نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، ص ٢٦١-٢٦٢، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/٢٩١.



والثالث: السنة، ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، يعني: القرآن والسنة.

والرابع: العلم والفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]، يعني: العلم والفهم.

والخامس: النبوة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]، يعني: النبوة.

## الألفاظ ذات الصلة

### ١ العلم:

#### العلم لغةً:

نقيض الجهل، والمعرفة، واليقين، والعلامة: النسابة، وهو من العلم<sup>(١)</sup>، ويقال: «علمت الشيء أعلمه علمًا: عرفته»<sup>(٢)</sup>.

#### العلم اصطلاحًا:

عرفه الجرجاني: «العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، ونقل عن الحكماء فقال: هو حصول صورة الشيء في العقل»<sup>(٣)</sup>.

وأنكر ابن العربي تعريف العلم لوضوحه وقال: «العلم أبين من أن يبين»<sup>(٤)</sup>، وأنكر على من تصدى لتعريف العلم.

#### الصلة بين العلم والحكمة:

يمكن إبرازها في الآتي:

١. أن العلم يشبه الحكمة من حيث كون كلاً منهما يفيد المرء ويفيد غيره، ويورث صاحبه قبولاً ومكانة ورفعة بين الناس.

٢. أن الحكمة ضرورية لطلب العلم وتعليمه، فمن التزم بالحكمة أحسن التعلم إن كان تلميذًا، والتعليم إن كان معلمًا.

### ٢ القضاء:

#### الفقه لغةً:

«العلم بالشيء، والفهم له، والفتنة. وغلب على علم الدين؛ لشرفه»<sup>(٥)</sup>.

#### الفقه اصطلاحًا:

هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علمٌ مستنبطٌ بالرأي

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٠٨٣/٤، تهذيب اللغة، الأزهرى، ٤١٨/٢.

(٢) الصحاح، الجوهري، ١٩٩٠/٥.

(٣) التعريفات، ص ١٩١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ١٤١/١.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ١٢٥٠.

والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل<sup>(١)</sup>.

الصلة بين الفقه والحكمة:

أن الفقه طريق إلى الحكمة، فكل من تفقه في دينه، ووقف على شيء من أسرار الأحكام الشرعية، وأعمل ذهنه في استنباطها كان حكيماً في تصرفاته، مترناً في أفعاله وأقواله.

٣ القضاء:

الفطنة لغة:

الفطنة بالكسر وسكون الطاء المهملة لغة: هي الفهم، وفي الصحاح هي كالفهم، وهذه قد تكون جبلية وقد تكون مكتسبة، كما أن عدم الفطنة قد يكون جبلياً وقد يكون عارضاً<sup>(٢)</sup>.

الفطنة اصطلاحاً:

تعرف في الاصطلاح بأنها «جودة تهيم النفس لتصور ما يرد عليها من الغير»<sup>(٣)</sup>.  
وتعرف كذلك بأنها «الفطنة: سرعة ما يقصد إشكاله»<sup>(٤)</sup>.

الصلة بين الفطنة والحكمة:

أن الحكمة تبني على الفطنة، إلا أن الفطنة فيها جانب معنوي به تدرك بواطن الأمور ومراميها، مما يؤدي إلى الحكمة في التصرفات، ولهذا فإن الحكيم لابد أن يكون فطناً.

(١) انظر: التعريفات، المجراني، ص ١٦٨.

(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي ٥١٠/٣٥.

(٣) كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي ١٢٧٩/٢.

(٤) مقاليد العلوم، السيوطي ص ٢٠٠.

## الحكمة نعمة إلهية

أولاً: الحكمة نعمة:

الحكمة نعمة من نعم الله تعالى التي ينعم بها على من يشاء من عباده، يصدق ذلك قول الله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال الشيخ المراغي في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: إنه تعالى يعطى الحكمة والعلم النافع المصروف للإرادة لمن يشاء من عباده، فيميز به الحقائق من الأوهام، ويسهل عليه التفرقة بين الوسواس والإلهام وآلة الحكمة العقل المستقل بالحكم في إدراك الأشياء بأدلتها، وفهم الأمور على حقيقتها - ومن أوتي ذلك عرف الفرق بين وعد الرحمن ووعد الشيطان، وعص على الأول بالنواجذ وطرح الثاني وراءه ظهرياً، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أي: ومن يوفقه الله لهذا النوع النافع من العلم، ويرشده إلى هداية العقل، ووجهه الوجهة الصحيحة - فقد هدى إلى خيري الدنيا والآخرة، فهو يسخر القوى التي خلقها الله له من سمع وبصر وشعور ووجدان في النافع من الأشياء، ويعدها لتنفيذ ما يرغب

فيه، ثم بعدئذ يفوض الأمر إلى بارئه الذي فطره وسوّاه، ومنه مبدؤه وإليه منتهاه، وبهذا لا يستسلم لوساوس الشيطان، ولا يقض مضجعه ما يجده من مكدرات الحياة وآلامها<sup>(١)</sup>.

وقد فسرت الحكمة في هذا الموضع بتفسيرات عدة أشهرها ما يأتي:

١. أن الحكمة هي الإصابة في القول والفعل، روي هذا عن مجاهد<sup>(٢)</sup>.
٢. أن الحكمة هي العقل في الدين، روي هذا عن عبد الرحمن بن زيد<sup>(٣)</sup>.
٣. أن الحكمة هي الفهم، وهو مروي عن إبراهيم النخعي<sup>(٤)</sup>.
٤. أن الحكمة هي النبوة، وهو مروي عن ابن عباس والسدي<sup>(٥)</sup>.
٥. أن الحكمة هي علم القرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله، وهذا مروي عن قتادة<sup>(٦)</sup>.
٦. أن الحكمة هي الخشية، وهو مروي

(١) انظر: تفسير المراغي ٣٤١-٤٢ بتصرف.

(٢) جامع البيان، الطبري ٥/٥٧٧.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/٥٧٨، تفسير

ابن أبي حاتم ٢/٥٣٢.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/٥٧٩، تفسير

السمرقندي ١/١٧٩.

(٦) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي

١/٢٥٢.

أقسامه، لأن الأنبياء مسددون مفهمون، وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور، «والنبوة» بعض معاني الحكمة، فتأويل الكلام: يؤتي الله إصابة الصواب في القول والفعل من يشاء، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرًا كثيرًا<sup>(٤)</sup>.

ولما كانت الحكمة نعمة كان إيتاؤها من رضا الله تعالى على المرء، حبًا لها، ورفعته لمنزلته، وجزاء له على طاعته وامتناله لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وقد ينعم الله تعالى على المرء في شبابه بالطاعة ويسر له سبلها ليؤمله بعد ذلك لتلقي الحكمة.

روي عن الحسن البصري قوله: «من أحسن عبادة ربه في شبابه آتاه الله الحكمة في اكتهاله»<sup>(٥)</sup>.

### ثانيًا: تعلّم الحكمة:

الحكمة هبة وعطية من الله يهبها من يشاء من عباده الصالحين، أما كونها هبة وعطية فهي نعمة من نعم الله تعالى التي ينعم بها على أحد من خلقه، وهذه درجة سامية من درجات الحكمة، ولكن يمكن في الوقت ذاته اكتساب الحكمة أو تعلمها.

وأما كونها فطرية فقد تقدم ذكر الآية الصريحة في أن الحكمة نعمة يؤتيها الله

عن الربيع بن خيثم<sup>(١)</sup>.

٧. أن الحكمة هي المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له، حكاه ابن وهب عن مالك<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك قوله: «وإنه ليقع في قلبي، أن الحكمة هو الفقه في دين الله؛ وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلًا في أمر الدنيا، إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفًا في أمر دنياه، عالمًا بأمر دينه، بصيرًا به، يؤتيه الله إياه، ويحرمه هذا، فالحكمة: الفقه في دين الله»<sup>(٣)</sup>.

ولا مانع من إطلاق الحكمة على كل المعاني السابقة، يقول الإمام الطبري بعد أن ذكر هذه المعاني: «إنها مأخوذة من «الحكم» وفصل القضاء، وأنها الإصابة بما دل على صحته، فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضوع، وإذا كان ذلك كذلك معناه، كان جميع الأقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلًا فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة.

وإذا كان ذلك كذلك، كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره مفهّمًا خاشيًا لله فقيها عالمًا، وكانت النبوة من

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي ١/ ٣٤٤.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/ ٥٧٨.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٣٢.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٥/ ٥٧٩.

(٥) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم، ٦/ ٢٤٠، رقم ٢٥٧٩.



تعالى لمن يشاء.

وورد في السنة كذلك ما يمكن الاستئناس به على فطريتها، وذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد قيس (إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة)<sup>(١)</sup>، فقال: يا رسول الله، أنا تخلقتكما، أو جبلني الله عليهما؟ قال: (بل الله جبلك عليهما). قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله<sup>(٢)</sup>.

ووجه الاستئناس بالحديث هنا أن الحلم والأناة وإن كان خلقين مستقلين إلا أن منبعهما الحكمة، فالحكيم تدفعه حكمته إلى الحلم والأناة.

وأما عن كونها مكتسبة فذلك بأن ييسر الله تعالى للمرء مخالطة الحكماء ومجالسة العلماء والإطلاع على التجارب والخبرات واكتساب الصفات والخلال التي تؤهله ليكون في مصاف الحكماء ويتعاطي أسباب الإخلاص، والتفكر والاعتبار بالحوادث، والصمت إذا خاض الإنسان فيها، كلها من الأسباب المعينة على الاقتباس من نور

(١) إلى هنا أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، رقم ١٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، في مسند الزايع بن زارع العبدي، ٤٩٠/٣٩، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني، ٣٠٤/٣، رقم ١٦٨٤، والخرائطي في مكارم الأخلاق، باب فضل الحلم والرفق والأناة ١/٣٣٢، رقم ٢٩.

الحكمة وكل ذلك بتوفيق الله وإعانتة.

وروي عن الإمام مالك؛ أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك؛ فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء»<sup>(٣)</sup>.

وقد استنبط الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كون الحكمة مكتسبة من الحوار الذي دار بين سيدنا سليمان عليه السلام وملئه حول إمكانية إحضار عرش ملكة سبأ، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَتْلِيَ الْوَلَدُ عَلَيْكُمْ يَأْتِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣٨)</sup> قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ<sup>(٣٩)</sup> قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِي رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ<sup>(٤٠)</sup> [النمل: ٣٨-٤٠].

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «وهذه المناظرة بين العفريت من الجن والذي عنده علم من الكتاب ترمز إلى أنه يتأتى بالحكمة والعلم ما لا يتأتى بالقوة، وأن الحكمة مكتسبة لقوله: عنده علم من الكتاب، وأن قوة العناصر طبيعة فيها، وأن الاكتساب بالعلم طريق لاستخدام القوى التي لا تستطيع استخدام بعضها بعضاً. فذكر

(٣) تنوير الحوالك، السيوطي ١٦١/٣.

أبا حازم (أحد الزهاد بالمدينة) فقال: يا أبا حازم من أعقل الناس؟ قال: من تعلم الحكمة وعلمها الناس، قال: فمن أحق الناس؟ قال: من دخل في هوى رجل ظالم<sup>(٣)</sup>.

ويمكن بيان أوجه الفرق بين الحكمة الفطرية والحكمة المكتسبة، أو الحكمة التي يؤتيها الله والحكمة التي يتعلمها المرء على هذا النحو:

أن الحكمة التي يؤتيها الله تعالى إنما يؤتيها لمن أحب من خلقه، فهي نور لا يؤتية لعاصي، أما تعلم الحكمة فقد ينالها الطائع والعاصي، فتكون للطائع نعمة، وعلى العاصي قد تكون استدراجاً ونقمة.

أعظم من الحكمة التي يتعلمها وأكثر إفادة من المكتسبة وفي كل خير، وذلك لأن علم البشر قاصر، قال الله تعالى ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

أن الحكمة المؤتاة من الله تعالى هي علم لدني، كما في حالة الخضر عليه السلام، ولقمان عليه السلام، أما الحكمة التي يتعلمها المرء فتأتي من طرق عدة، وبدرجات متفاوتة، فقد يتعلمها المرء من الإنسان، وقد يتعلمها من الحيوان.

(٣) المنهج المسلوك في سياسة الملوك، الشيزري ص ٧١٧، مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة ص ١٣٥.

في هذه القصة مثلاً لتغلب العلم على القوة، ولما كان هذان الرجلان مسخرين لسليمان كان ما اختصا به من المعرفة مزية لهما ترجع إلى فضل سليمان وكرامته أن سخر الله له مثل هذه القوى<sup>(١)</sup>.

وأيًا كان الأمر من كون الحكمة فطرية أو مكتسبة، فإن كليهما يستلزم من المرء العمل بها وتعليمها، وإلا دخل في عداد واحد من اثنين، الأول: العالم الذي لا يعمل بعلمه، والثاني: العالم الذي يكتم علمه، وكلاهما مذموم.

أما الأول فمذموم بقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

وأما الثاني فمذموم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية)<sup>(٢)</sup>.

وروي أن سليمان بن عبد الملك سأل

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧١/١٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، رقم ٣٢٦٧.

## الحكمة من صفات الله تعالى

وصف الله تعالى نفسه بالحكمة، وسمى نفسه الحكيم في آيات عديدة بلغت أكثر مائة موضع، من كتاب الله عز وجل، فالحكيم من أسماء الله الحسنى، وأكثر ما ورد من اسم «الحكيم» في القرآن الكريم ورد مقترناً بغيره من الأسماء؛ كالعزيز والعليم والخبير والتواب ونحو ذلك.

قال ابن منظور: «الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، وهو الحكيم، له الحكم سبحانه وتعالى. قال الليث: الحكم الله تعالى. وقال الأزهري من صفات الله: الْحَكَمُ وَالْحَكِيمُ وَالْحَاكِمُ، ومعاني هذه الأسماء متقاربة، وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه. وقال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى (الحكم) و(الحكيم) وهما بمعنى الحاكم، وهو القاضي فهو فاعل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فاعل بمعنى مفعول، وقيل: الحكيم: ذو الحكمة وهي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»<sup>(١)</sup>.

ولهذه التسمية ولهذا الاقتران معان دار حولها العلماء، أتناول ما تيسر منها على هذا النحو:

أولاً: معنى الحكمة في حق الله تعالى:

الحكمة في حق الله تعالى تعني صفة عظيمة من صفاته جل وعلا، واسماً من أسمائه الحسنى، تتعلق بالعلم والإحاطة بخلقه، وتدير شؤونهم، وتشريعاته الصالحة لكل زمان ومكان، ورحمته التي وسعتهم بتقدير وتدير محكمين.

ولذلك فإن اسم الله تعالى «الحكيم» تتعدد معانيه وتتسع حسب المواضع الكريمة التي ورد فيها في كتاب الله تعالى، وكلها تصف المولى جل وعلا بالحكمة التي سبق ذكر معانيها.

فالحكيم جل وعلا له في خلقه شئون، وله في تدبير أمورهم إرادة لا يعثرها العبث، ولا يدخلها الخلل، قال تعالى مبيهاً جوانب حكمته في الخلق: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

فالحكيم جل وعلا جعل الناس متفاوتين في المعاش والأوصاف، كما قال ابن القيم: «الله سبحانه يحب أن يشكر، ولذا فاوت بين عباده في صفاتهم الظاهرة والباطنة في خلقهم وأخلاقهم وأديانهم وأرزاقهم ومعاشهم وأجالتهم، فإذا رأى المعافى المبتلى والغني الفقير والمؤمن الكافر عظم شكره لله، وعرف قدر نعمته عليه، وما فضله به على غيره، فازداد شكراً وخضوعاً واعتزافاً بالنعمة، فالضد يظهر حسنه الضد،

(١) لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ١٤٠.



وبضدها تبين الأشياء»<sup>(١)</sup>.

أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والله عز وجل هو الحكيم الحق، لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم، إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله، المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة ولا يتصف بذلك إلا علم الله سبحانه وتعالى»<sup>(٤)</sup>.

والحكيم سبحانه وتعالى فاضل بين الناس، فوق قوماً للدين، ووكل قوماً لأنفسهم فاخترأوا الكفر، ولا يعجز الله هدايتهم، ولو شاء لهدى الناس أجمعين، لكنه حكيم، جعل الكفر والإيمان، وسلط الشيطان على بني الإنسان حكمة منه<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ ناصر السعدي ما ملخصه: «الحكيم: الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال.

قال ابن القيم: «في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، فالله سبحانه لم يخلقه عبثاً، ولا قصد بخلقه إضرار عبادته وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة، وحجة قاهرة، وآية ظاهرة، ونعمة سابغة؛ وهو وإن كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو خير من تفويتها»<sup>(٣)</sup>.

وحكمته نوعان:

النوع الأول: الحكمة في خلقه؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتماً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً.

وللعلماء كلام طيب في معنى الحكمة في حق الله تعالى إما على جهة الإطلاق أو مستفاداً من الآيات القرآنية الواردة في الحكمة، وأورد هنا طرفاً من كلامهم وتفسيراتهم على هذا النحو:

قال الغزالي: «الحكمة عبارة عن معرفة

(١) شفاء العليل، ابن القيم ص ٢٢١.

(٢) انظر: تأملات في اسم الله تعالى الحكيم، منصور الصقوب، خطبة بموقع ملتقى الخطباء ص ٥ بتصرف.

(٣) شفاء العليل، ابن القيم ص ١٤٨.

(٤) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الغزالي ص ١٢٠.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا؟ وأى فضل وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحمده، وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل الفضائل لمن يمن الله عليه بها<sup>(١)</sup>.

وإذا نظرنا إلى اسم الله تعالى الحكيم، لوجدناه لم يأت في القرآن الكريم مفرداً قط، وإنما مقروناً باسم آخر على نحو ما سيتضح لاحقاً.

وللعلماء كلام طيب في تفسير اسم الحكيم جل وعلا، منه قول ابن القيم: «اسم الحكيم له سبحانه من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله، ووضع الأشياء في مواضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه»<sup>(٢)</sup>.

وقول العسكري: «وتسمية الله بأنه حكيم على وجهين:

أحدهما: يستحقه لذاته، وهو أنه عالم. والآخر: يستحقه لفعله، وهو أن أفعاله محكمة.

وفعل بمعنى مفعول معروف في اللغة،

- (١) انظر: الثمر المجتنب مختصر شرح أسماء الله الحسنى، ناصر السعدي ص ٢٨-٣١.  
(٢) التفسير القيم، ابن القيم ص ٣١.

يقال: سمع بمعنى سمع، قال عمرو بن معدي كرب: أمن ريحانة الداعي السميع»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: حكمة اقتران صفة الحكمة بصفات الله الأخرى:

وردت الحكمة مقترنة بصفات أخرى لله عز وجل، حيث جاء اسم الحكيم مع أسماء أخرى في عشرات الآيات المكية والمدنية على اختلاف مقاصد هذه الآيات، ولا يتسع المقام لسردها بالتفصيل، ولكن اكتفي بالإشارة إلى ذكر ذلك إجمالاً، ثم استلهم بعض المعاني من مواطن بعينها.

✽ العزيز الحكيم:

جاء اسم الله تعالى (الحكيم) مقروناً باسمه (العزيز) جل وعلا في (٤٤) موضعاً في القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

وكل آية ورد فيها الاسمان الكريمان، لها مدلولها ومعانيها المناسبة للمقام، المبسطة في مواضعها من كتب التفسير.

فعلى سبيل المثال في قول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

يقول الطبري: «أخبر جل ثناؤه خلقه

- (٣) الوجوه والنظائر، العسكري ص ١٨٠.  
(٤) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي ص ٢١٤-٢١٥، موسوعة نضرة النعيم ١٦٨٠/٥.



بصفته، وعيدًا منه لمن عبد غيره، أو أشرك

والمناصب للآيات الواردة فيه.  
والناظر في المواضع يجد أن (٣١)  
موضعًا منها سبق العلم بالحكمة، وموضعين  
فقط سبقت الحكمة العلم:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ  
إِلَهُهُ فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾  
[الزخرف: ٨٤].

وذكر الطبري في تفسيرها أنه سبحانه  
وتعالى الحكيم: في تدبير خلقه، وتسخيرهم  
لما يشاء، العليم بمصالحهم (٤).

وذكر ابن كثير أن المعنى: حكيم في  
أقواله وأفعاله (٥).

ولهذا فإن العبد إذا علم أن الحكيم  
سبحانه وتعالى هو المدبر للأمور المتقن لها  
والموجد لها على غاية الأحكام والإتقان  
والكمال، والواضع للأشياء في مواضعها،  
والعالم بخواصها ومنافعها الخبير بحقائقها  
ومآلاتها.. فإذا عرف العبد ذلك وتيقن هذا  
المعنى وأن كل ما يجري في هذا الكون هو  
لحكمة بالغه أرادها الله تبارك وتعالى -علم  
هذه الحكمة من علمها وجهلها من جهلها-  
كان لهذه المعرفة الأثر البالغ في حياته  
وتصرفاته ونظرته للكون والحياة وعاش  
مطمئن القلب قدير العين مفوضًا الأمر كله  
إلى الله تعالى متقنًا لعمله محسنًا لعبادته،

بصفته، وعيدًا منه لمن عبد غيره، أو أشرك  
في عبادته أحدًا سواه، فقال: «هو العزيز»  
الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحدًا،  
ولا ينجيه منه وأل ولا لجأ، وذلك لعزته  
التي يذل لها كل مخلوق، ويخضع لها كل  
موجود، ثم أعلمهم أنه «الحكيم في تدبيره  
وإعذاره إلى خلقه، ومتابعة حججه عليهم،  
ليهلك من هلك منهم عن بيته، ويحيا من  
حي عن بيته» (١).

وفي قوله جل شأنه: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا  
بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن  
عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

يقول الطبري في معناها: «العزيز في  
انتقامه من أهل الكفر بأيدي أوليائه من أهل  
طاعته، الحكيم في تدبيره لكم أيها المؤمنون  
على أعدائكم من أهل الكفر، وغير ذلك من  
أموره» (٢).

### ✽ العليم الحكيم:

جاء اسم الله تعالى (الحكيم) مقترنًا  
باسمه (العليم) جل وعلا، في (٣٣) موضعًا  
في القرآن الكريم (٣).

وجميع المواضع التي وردت فيه العلم  
مقترنًا بالحكمة لكل موضع منها معناه

(١) جامع البيان، الطبري ٦/١٦٨-١٦٩.

(٢) المصدر السابق ٧/١٩١-١٩٢.

(٣) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

الكريم، محمد عبد الباقي ص ٢١٤-٢١٥،

موسوعة نضرة النعيم ٥/١٦٨٠.

(٤) انظر: جامع البيان، ٢١/٦٥٣.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٧/٣٩٣.

ومتيقناً أن كل ما يجري في الكون والحياة هو من تقدير الحكيم العليم اللطيف الخبير الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه<sup>(١)</sup>.  
والثاني: في قوله جل شأنه: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: ٣٠].

والمعنى: أنه تعالى حكيم في تديره خلقه، عليم بمصالحهم، وبما كان وبما كائن، وقيل: عليم بما تستحقون من الكرامة، حكيم في أقواله وأفعاله<sup>(٢)</sup>.

ومن لطائف الآية ما ذكره الرازي قائلاً: «إن قيل: لم قال هاهنا الحكيم العليم، وقال في هود: (حميد مجيد)؟ نقول: لما بينا أن الحكاية هناك أبسط، فذكروا ما يدفع الاستبعاد بقولهم: أتعجبين من أمر الله، ثم لما صدقت أرشدهم إلى القيام بشكر نعم الله، وذكرهم بنعمته بقولهم: حميد، فإن الحميد هو الذي يتحقق منه الأفعال الحسنة، وقولهم: مجيد، إشارة إلى أن الفائق العالي الهمة لا يحمد لفعله الجميل، وإنما يحمد ويسبح له لنفسه، وهاهنا لما لم يقولوا: أتعجبين، إشارة إلى ما يدفع تعجبها

(١) انظر: معنى اسم: الحكيم وأثره على المسلم، فتوى رقم ١٧١٨١٩، موقع إسلام ويب، منشور بتاريخ الخميس ٢٤ صفر ١٤٣٣ هـ، ١٩-٢٠١٢ م.

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٧/١١، ٧٠٥٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩٣/٧.

من التنبيه على حكمه وعلمه، وفيه لطيفة وهي أن هذا الترتيب مراعى في السورتين، فالحميد يتعلق بالفعل، والمجيد يتعلق بالقول، وكذلك الحكيم هو الذي فعله، كما ينبغي لعلمه قاصداً لذلك الوجه بخلاف من يتفق فعله موافقاً للمقصود اتفاقاً، كمن ينقلب على جنبه فيقتل حية وهو نائم، فإنه لا يقال له: حكيم، وأما إذا فعل فعلاً قاصداً لقتلها بحيث يسلم عن نهشها، يقال له: حكيم<sup>(٣)</sup>.

#### ✽ الحكيم الخبير:

جاء اسم الله تعالى (الحكيم) مقترناً باسمه (الخبير) في أربعة مواضع من كتاب الله عز وجل.

ولو تتبعنا آثار اسمي الحكيم والخبير لوجدنا أن الله سبحانه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزله، التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته.

فلا يضع الحرمان والمنع موضع العطاء والفضل، ولا الفضل والعطاء موضع الحرمان والمنع، ولا الثواب موضع العقاب، ولا العقاب موضع الثواب، ولا الخفض موضع الرفع، ولا الرفع موضع الخفض، ولا العز مكان الذل، ولا الذل

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٨/١٧٨.

وهو الحكيم، يقول: والله الحكيم في علوه على عباده، وقهره إياهم بقدرته، وفي سائر تدبيره الخبير، بمصالح الأشياء ومضارها، الذي لا يخفي عليه عواقب الأمور وبواديها، ولا يقع في تدبيره خلل، ولا يدخل حكمه دخل»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام البقاعي في هذه الآية: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ أي الذي يعمل مراده كله، ويمنع غيره مراده إن شاء، وصور قهره وحققه لتمكن الغلبة بقوله: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وكل ما سواه عبد؛ ولما كان في القهر ما يكون مذمومًا، نفاه بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ أي: وحده ﴿الْحَكِيمُ﴾ فلا يوصل أثر القهر بإيقاع المكروه إلا لمستحق، وأتم المعنى بقوله ﴿الْخَبِيرُ﴾ أي: بما يستحق كل شيء، فتمت الأدلة على عظيم سلطانه وأنه لا فاعل غيره»<sup>(٣)</sup>.

وثانيها: في السورة نفسها: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وثالثها: في أول سورة سبأ في قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

مكان العز، ولا يأمر بما ينبغي النهي عنه، ولا ينهى عما ينبغي الأمر به.

فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على انتهائها إليه ووصولها، وأعلم بمن لا يصلح لذلك ولا يستأمله، وأحكم من أن يمنعها أهلها، وأن يضعها عند غير أهلها.

فلو قدر عدم الأسباب المكروهة البغيضة له لتعطلت هذه الآثار، ولم تظهر لخلقه، ولفاتت الحكم والمصالح المترتبة عليها، وفواتها شر من حصول تلك الأسباب<sup>(١)</sup>.

ولو تتبعنا بعضًا من مواضع اقتران اسم الحكيم باسم الخبير لوجدنا فيها معان كثيرة على هذا النحو:

أولها: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

وقد فسرها الطبري هنا بقوله: «يعني تعالى ذكره بقوله: (وهو)، نفسه، يقول: والله الظاهر فوق عباده، ويعني بقوله: (القاهر)، المذلّل المستعبد لخلقه، العالي عليهم، وإنما قال: (فوق عباده)؛ لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم. ومن صفة كلّ قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه.

فمعنى الكلام إذا: والله الغالب عباده، المذلّل لهم، العالي عليهم بتذليله لهم، وخلقهم إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه

(٢) جامع البيان، الطبري ١١/٢٨٨.

(٣) نظم الدرر، البقاعي ٧/٣٩-٤٠.

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/١٩٠.



الْحَيِّرُ ﴿سبأ: ١﴾.

ورابعها: في قوله جل شأنه: ﴿الرَّكَتَبُ أَتَمَّكَتْ بَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١].

والمعنى هنا: أنه سبحانه وتعالى حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها، خير بما تؤول إليه عواقبها<sup>(١)</sup>.

وفسرهما قتادة وأبو العالية بأنه سبحانه وتعالى حكيم في أمره خير بخلقه<sup>(٢)</sup>.

أما بقية الأسماء فنجد أن اقتران اسم الحكيم بها مرة واحدة وذلك كأسماء:

﴿التواب﴾

جاء مقترناً باسم (الحكيم) في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

وهنا جاءت الآية جواب «لولا متروك»، والمعنى -والله أعلم-: ولولا فضل الله عليكم لنال الكاذب لما ذكرنا عذاب عظيم<sup>(٣)</sup>.

وقيل المعنى: «ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم

(١) جامع البيان، الطبري ٢٢٨/١٥.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٩٩٦/٦.

(٣) معاني القرآن، وإعرابه، الزجاج ٣٣/٤.

الكشف والبيان، الثعلبي ٦٨/٧.

بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً رحمة منه بكم، وتفضلاً عليكم<sup>(٤)</sup>.

﴿الحميد﴾

جاء مقترناً باسم (الحكيم) في قول الله تعالى في وصف القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

وقد فسر بعض العلماء (الحكيم) هنا بأنه الذي لا يلحقه الخطأ في تدبيره أو في حكمه، و(الحميد) بأنه الذي لا يلحقه الذم في فعله<sup>(٥)</sup>.

﴿العلي﴾

جاء مقترناً باسم (الحكيم) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وهذه الآية الكريمة واردة في بيان أقسام الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد ختمها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾.

والمعنى كما ذكره الرازي: أنه تعالى ﴿عَلَىٰ﴾ عن صفات المخلوقين

(٤) جامع البيان، الطبري ١١٥/١٩.

(٥) تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٨٨/٩.



## وصف القرآن الكريم بالحكمة

القرآن الكريم له أسماء عدة وأوصاف مختلفة بعضها ذكر في القرآن نفسه، وبعضها ورد في السنة النبوية، ومن ذلك وصفه بالحكمة في أكثر من موضع.

قال الرازي في معرض ذكره لأسماء القرآن الكريم: «ثامنها: الحكم، والحكمة، والحكيم، والمحكم».

أما الحكم فقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرِيشًا﴾ [الرعد: ٣٧].

وأما الحكمة فقوله: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً فَمَا تَتَنَذَّرُ﴾ [القمر: ٥].

وقوله: ﴿وَأَذْكُرْتَ مَا يَتْلَى فِي يَوْمِيكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وأما الحكيم فقوله: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ [يس: ١-٥]، وأما المحكم فقوله: ﴿الرَّكُوتُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] (٤).

وبيان معاني هذه المواضع على هذا النحو:

أولاً: وصف القرآن بالحكمة في معرض القسم به في مطلع سورة يس: قال

تعالى: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ نَزِيلَ

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، ٢/٢٦١.

﴿حَكِيمٌ﴾ يجري أفعاله على موجب الحكمة (١).

❁ الواسع:

جاء مقترناً باسم (الحكيم) في قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَفْقَرَا يَتَنَزَّلُ اللَّهُ كَلَّا مِنْ سَعْتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

وهذه الآية وردت في مسألة التفرقة بين الزوجين حين تتعذر الحياة بينهما على النحو الصحيح، فإذا كان الله تعالى قد علق الغنى على النكاح في موضع، فقد علقه في هذا الموضع على الفقرة.

ويؤيد هذا ما روي عن الحسن بن علي أنه كان طلق زوجته، فقيل: له في ذلك، فقال: إني رأيت الله تعالى علق على الأمرين غنى، فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وقال: ﴿وَلَنْ يَفْقَرَا يَتَنَزَّلُ اللَّهُ كَلَّا مِنْ سَعْتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠] (٢).

والواسع: عام في الغنى، والقدرة، والعلم، وعقبه بالحكم، منبهاً أن السعة ما لم يكن معها الحكمة، والعلم، كان إلى الفساد أقرب منها إلى الصلاح (٣).

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٧/٦١٤.

(٢) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٤/١٨٦.

(٣) انظر: المصدر السابق.

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [يس: ١ - ٥].

والحكيم هنا فسر بتفسيرات عدة أشهرها ما يلي:

١. ما ذكره الطبري أنه «المحكم بما فيه من أحكامه، وبيّنات حججه»<sup>(١)</sup>.

٢. ما ذكره الزجاج بأن «آياته أحكمت وبيّن فيها الأمر والنهي والأمثال وأقاصيص الأمم السالفة»<sup>(٢)</sup>.

٣. ما ذكره الرازي في موضع بأنه -أي: القرآن- ذو حكمة بمعنى أنه ناطق بها كأنه حي يتكلم<sup>(٣)</sup>.

٤. ما ذكره الرازي في موضع آخر بأنه بمعنى «الحاكم»<sup>(٤)</sup>.

ومما سبق ذكره نجد ما يشبه اتفاق المفسرين على أن الحكيم هنا بمعنى المحكم<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: في قول الله تعالى ﴿ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْهِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٥٨].

والمراد ذلك الذي نقصه عليك في شأن

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/٤٩٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/٢٧٧.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٢٥١، مدارك التنزيل، النسفي ٣/٩٥.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٣١٥.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/٤٩٠،

معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/٢٧٧،

تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ٤/٣٨،

الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٩/٦٠٠٠.

عيسى، من الدلائل الواضحة على صحة رسالتك، وصحة القرآن الحكيم الذي يفصل بين الحق والباطل، فلا شك فيه ولا امتراء.

وأكثر المفسرين قالوا بأن الذكر الحكيم هنا هو القرآن الكريم، حيث روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنه والضحاك ومحمد بن جعفر بن الزبير، كما رواه عنهم الطبري<sup>(٦)</sup>.

فابن عباس رضي الله عنهما فسره بأنه «الكامل في حكمته».

ومحمد بن جعفر فسره بقوله: «القاطع الفاصل الحق، الذي لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلن خبراً غيره»<sup>(٧)</sup>.

ثالثاً: تسمية القرآن بالحكمة في قوله جل شأنه: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ﴾ [القمر: ٥].

حيث فسرهما غير واحد في هذا الموضع بالقرآن الكريم<sup>(٨)</sup>.

وجاء في السنة النبوية أحاديث تصف القرآن الكريم بالحكمة، أو مفسرة لوصفه بذلك منها ما يأتي:

(٦) جامع البيان، الطبري ٦/٤٦٧.

(٧) المصدر السابق.

(٨) انظر: تفسير مقاتل ٤/١٧٧، جامع البيان،

الطبري ٢٢/٧٥٢، تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين ٤/٣١٦.

تعالى آيات جمعت فأوعت، وبلاغة  
للفصحاء أعيّت.

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه  
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(القرآن حكمة، فمن تعلم القرآن في شببته  
خلط بلحمه ودمه، ألا وإن النار لا تمس  
قلبًا وعى القرآن، ولا جسدًا اجتنب محارمه  
وأحل حلاله وآمن بمحكمه ووقف عند  
متشابهه ولم يتدع فيه)<sup>(١)</sup>.

وخلاصة ما يمكن استنباطه من وصف  
القرآن الكريم بالحكمة فيما مر ذكره من  
مواضع ما يأتي:

١. أنه وصف بذلك لكونه مستقرا فيه  
الحكمة وهي حقائق المعارف وما  
يتفرع عليها من الشرائع والعبر  
والمواعظ.

٢. أن الحكمة من الصفات السامية التي  
يتحلى بها المؤمن، وأن الرجوع إلى  
كتاب الله تعالى في كل أمور الإنسان  
هو عين الحكمة ومنبع الصواب إذ  
فيه الحل لكل ما يشكل عبر العصور  
والأزمان.

٣. أن كل ما أتى به الحكماء ويأتون،  
وما نطق به البلغاء ينطقون، مرده إلى  
كتاب الله تعالى سواء أدركوا ذلك  
أم لم يدركوا، وحسبك من آيات الله

(١) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى رقم ٩٨٩  
كتاب فضائل القرآن، باب الترغيب في تعلم  
القرآن وتعليمه وتلاوته، وفي شعب الإيمان  
رقم ٢٦٩٦ فصل في تنوير موضع القرآن.

## وصف الرسل والصالحين بالحكمة

أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنّ الحكمة نعمة يؤتيها من يشاء من عباده، نبياً كان أو غير نبي، مع ما أودعه في الرسل والأنبياء خاصة من صفات فطرية مادية ومعنوية فاقوا بها غيرهم، وذلك تأهيلاً لمهمتهم السامية، ورفعاً لمكانتهم، وقد تقدم الكلام على نعمة إيتاء الحكمة، وما ورد في تفسير الحكمة في الآية.

ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم يجد المرء وصفاً من الله تعالى لبعض أنبيائه ورسله بالحكمة، وكذا بعض الصالحين من عباده من غير الأنبياء، وهو ما أتناوله في هذا المبحث على النحو الآتي:

### أولاً: الأنبياء والرسل عليهم السلام والحكمة:

أنعم الله سبحانه وتعالى على جميع أنبيائه ورسله بنعمة الحكمة بكل جوانبها في التعلم والتعليم والممارسة والتطبيق، في الأقوال والأفعال، وهذه سمة جميع الأنبياء والرسل حتى يستطيعوا أن يقوموا بمهمتهم التي أوكلها الله تعالى لهم على أكمل وجه، وحتى تثمر دعوتهم.

والقرآن الكريم يورد مواطن إيتاء الأنبياء الحكمة على وجوه شتى، بعضها منصوص عليه بلفظ الحكمة، وبعضها بلفظ الحكم أو

الفهم، أورد منها هنا أقوال من فسرها بالفهم والعلم ونحوه من معاني الحكمة.

١. حكمة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.

امتن الله تعالى على نبيه أبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام بنعمة الحكمة، حيث دعا بذلك سيدنا إبراهيم، فقال كما جاء في القرآن ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَقْنَ بِالضَّلِيلِ﴾ [الشعراء: ٨٣].

فقد فسرت الحكمة هنا بالعلم والفهم، كما هو مروي عن مقاتل وغيره، أو: البيان على الشيء على ما توجه الحكمة<sup>(١)</sup>، وهناك من فسرها بالنبوة<sup>(٢)</sup>.

وفي موطن آخر تشير آية كريمة إلى النعم التي أنعم الله تعالى بها على آل إبراهيم عليه السلام ومنها الحكمة، وذلك قوله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وقد فسر البعض الحكمة هنا بأنها المعرفة بالدين والفقه فيه<sup>(٣)</sup>.

وهذه الآية تشمل من آل إبراهيم سيدنا موسى وداود وسليمان عليهم وعلى نبينا

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٢٦٩، الكشف والبيان، الثعلبي ٧/ ١٧٠.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٨١.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٣/ ٨٧، زاد المسير، ابن الجوزي ١/ ٤٢١.



«أَيَّنَتْهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»

[القصص: ١٤].

قال محمد بن إسحاق: «آتاه الله حكماً وعِلْماً، أي: فقهاً في دينه ودين آبائه وعِلْماً بما في دينه من شرائعه وحدوده»<sup>(٣)</sup>.

وفي قول الله تعالى ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١].

نجد أن الله تعالى قد ذكر الحكمة مع الرسالة مما يدل على أنهما متغايران، وأن الحكمة هنا ليس مقصوداً بها الرسالة، بل المقصود بها العلم والفهم، كما ذكره مقاتل بن سليمان وتبعه بعض المفسرين<sup>(٤)</sup>.

٣. حكمة نبي الله داود عليه السلام.

نبي الله داود عليه السلام أحد أنبياء بني إسرائيل جمع الله تعالى له الملك والنبوة في بيته له ولابنه سليمان عليه السلام، وقد كان داود جندياً في جيش طالوت، فامتن الله تعالى بقتل جالوت ورزقه الله تعالى بعد ذلك الملك والحكمة، فسار بها في الناس معلماً وحاكماً ومرشداً.

وجاء النص الصريح على نعمة إيتاء سيدنا داود الحكمة في موضعين، والحكم الذي فسر بمعنى الحكم في موضع ثالث

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٢٩٥٢/٩.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٢٦٠/٣، تفسير السمرقندي ٥٥٢/٢، زاد المسير، ابن الجوزي ٣٣٧/٣.

الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

ومن لطائف الآية كما ذكر بعض المفسرين: «أن هذا إلزام لليهود بما يعترفون به ولا ينكرونه وهو مسلّم عندهم، أي: ليس ما آتينا محمداً وأصحابه من فضلنا بأبدع حتى تحسدكم اليهود على ذلك، فهم يعلمون بما آتينا آل إبراهيم وهم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء أعمامه، وفيه حسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبشرين على توهم عدم استحقاق الحسود ما أوتيته من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابراً عن كابر، وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمر»<sup>(٢)</sup>.

٢. حكمة كلیم الله موسى عليه السلام.

أنعم الله على كلیمه موسى عليه السلام بالنجاة من بطش فرعون وكيده، وعاش ما قدر الله تعالى له في مدين ثم عاد إلى مصر رسولاً إلى فرعون وملئه، فدار بينهما الحوار المذكور في سورة الشعراء، الذي ذكر فيه نبي الله موسى نعم الله تعالى عليها، ومن بينها الحكمة التي رزق إياها وهو في مقتبل عمره، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ

(١) انظر: السراج المنير، للشربيني ٣١٠/١، فتح البيان، القنوجي ١٥٠/٣.

(٢) فتح البيان، القنوجي ١٤٩/٣-١٥٠.

من كتاب الله تعالى:

أولاً: في قصة طالوت وجالوت في قول الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِذَنْبِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

ثانياً: في قول الله تعالى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

والقصة مبسوبة في حكمة سيدنا سليمان عليه السلام.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنزَلْنَاهُ الْكِتَابَ وَفَصَّلْنَا الْبَيِّنَاتِ﴾ [ص: ٢٠].

والحكمة المذكورة في آية ص فسرهما ابن عباس رضي الله عنهما والقاضي شريح بأنها الفهم<sup>(١)</sup>.

وفسرهما السدي ومجاهد بأنها النبوة، وفسرها أبو العالية بأنها العلم بكتاب الله، وفسرها قتادة بأنها السنة<sup>(٢)</sup>.

وأما فصل الخطاب ففسرت بتفسيرات عدة منها: أنها الشهود والبيئات، وفسرت

بعلم القضاء، وهذا ما روي عن القاضي شريح وعامر الشعبي وقاتدة<sup>(٣)</sup>.

ومنها أنها قوله في الخطبة (أما بعد)، حيث روي أن أول من قالها سيدنا داود عليه السلام.

قال ابن الخطيب: «فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير على كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال، بحيث لا يخلط شيئاً بشي وبيحث يفصل كل مقام عن ما يخالفه، هذا معنى عام يتناول فصل الخصومات ويتناول الدعوة إلى الدين الحق ويتناول جميع الأقسام»<sup>(٤)</sup>.

٤. حكمة نبي الله سليمان عليه السلام.

وصف القرآن نبي الله سليمان عليه السلام بما يدل على الحكمة معنوياً لا لفظياً في هذه المواضع منها:

❁ واقعة الحكم في الغنم التي نفشت في الحرث:

قال تعالى: ﴿وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [ص: ٧٨] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧٣/٢١، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٣٩٣/١٦.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧٣/٢١، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣٢٥/٤.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧٢/٢١، تفسير السمرقندي ٦٠٥/٢.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦٢/١٥.

﴿فَتَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩].

الثناء على ذلك، وأثني على أبيه داود عليه السلام كذلك، وذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلَّ آيَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

ويفيد قوله جل شأنه: ﴿فَفَهَّمْنَهَا﴾ أنه فهمه إياها من نصوص ما كان عندهم من الشرع، لا أنه أنزل عليه فيها وحياً جديداً ناسخاً؛ لأن قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَهَا﴾ أليق بالأول من الثاني، كما ترى<sup>(٢)</sup>.

وقدم سليمان في الذكر على داود لتوفر علمه، وتأخر ذكر داود لتشريفه بذكر كتابه، وإبرازه في جملة مستقلة له بالذكر ولكتابته، فما فاتته من التقديم اللفظي حصل به التضعيف من التشريف المعنوي<sup>(٣)</sup>.

وهذه الآية استفاد منها بعض المفسرين أن تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهم دليل على أنه لم يفهم داود ذلك، ويدل على ذلك وجوه:

أولها: أن إشراكه عز وجل إياهما جميعاً في الحكم والعلم وغيره؛ حيث قال: ﴿إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾، وقال:

﴿وَكُلَّ آيَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾، ذكر ما كانا مشتركين فيه، وخص سليمان بالتفهم؛ فدل التخصيص بالشيء أحدهما والإشراك في الآخر على أنه كان مخصوصاً به دون الآخر. والثاني: أن هذه الأنباء إنما ذكرت لنا

وهذه الآية واقعة في سياق قصة الغنم التي نفشت في الحرث، وكان داود عليه السلام ملكاً نبياً يحكم بين الناس فوقعت هذه النازلة، وكان سليمان عليه السلام كبيراً يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم، وكانوا يدخلون إلى داود من باب آخر، فتخاصم إليه رجل له زرع، دخلت حرثه غنم رجل فأفسدت عليه، فرأى داود دفعها إلى صاحب الحرث، فخرجا على سليمان، فشكى صاحب الغنم فجاء سليمان فقال: يا نبي الله، إني أرى ما هو أرفق بالجميع، أن يأخذ صاحب الغنم الحرث يقوم عليه ويصلحه حتى يعود كما كان، ويأخذ صاحب الحرث الغنم في تلك المدة يتنفع بمرافقتها من لبن وصوف ونسل، فإذا عاد الحرث إلى حاله، صرف كل مال صاحبه إليه، فرجعت الغنم إلى ربها والحرث إلى ربه، فقال داود: وفقت يا بني، وقضى بينهما بذلك<sup>(١)</sup>.

والقصة تدل على أن الحكم كان بالاجتهاد لا بالوحي، وأنهما عليهما السلام حكما فيها معاً، كل منهما بحكم مخالف لحكم الآخر، ولو كان وحياً لما وقع اختلاف في الحكم، وقد أصاب سيدنا سليمان عليه السلام في حكمه، واستحق

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ١٧٠.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان ٣/ ٤١٣.

(١) البحر المحيط، أبو حيان ٦/ ٣٠٦.



لنستفيد بها علماً لم يكن، فلو لم يكن سليمان مخصوصاً بالفهم دون داود، لكان لا يفيدنا سوى الحكم والعلم، وكنا نعلم أنهما قد أوتيا حكماً وعلماً، وكانا يحكمان بالعلم، فإذا كان كذلك، فدل التخصيص بالتفهم لأحدهما على أن الآخر لم يكن مفهماً ذلك، والله أعلم.

والثالث: فيه دلالة: أن المجتهد إذا حكم وأصاب الحكم أنه إنما أصاب بتفهم الله إياه وبتوقيفه؛ حيث أخبر أنه قد آتاهما جميعاً العلم، ثم خص سليمان بالتفهم، والتفهم هو فعل الله؛ حيث أضاف ذلك إلى نفسه<sup>(١)</sup>.

❖ واقعة التثبيت في قبول الأخبار:

وذلك في قوله تعالى ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

والآية فيها دليل على أن الإمام يجب عليه قبول عذر رعيته، ويدراً العقوبة عنهم في ظاهر أحوالهم بباطن أذارهم؛ لأن سليمان عليه السلام لم يعاقب الهدهد حين اعتذر إليه، وإنما صار صدق الهدهد عذراً؛ لأنه أخبر بما يقتضي الجهاد، وكان سليمان عليه السلام حبيب إليه الجهاد، وقد قبل عمر رضي الله عنه عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه، ولكن للإمام أن يمتحن ذلك إذا

تعلق به حكم من أحكام الشريعة<sup>(٢)</sup>.  
واقعة إرسال الكتاب إلى ملكة سبأ، وذلك في قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

ففي الآية أمر للهدهد بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به مع الملوك، بمعنى: وكن قريباً حتى ترى مراجعتهم. وقال ابن زيد: أمره بالتولي بمعنى الرجوع إليه؛ أي: ألقه وارجع. ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]<sup>(٣)</sup>.

❖ واقعة الإتيان بعرض ملكة سبأ وتغيير معالمه، واستعراض عظمة الملك أمامها لاختبارها:

وذلك في قول الله تعالى: ﴿قَالَ تَكْرَوْنَهَا أَمْ كُنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [النمل: ٤١].

وقوله بعد ذلك بآيتين: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهذا دليل على إرادة نبي الله سليمان عليه السلام إبراز نعمة الله تعالى عليه، وإتيانه من القدرة والملك ما يأتي به بعرضها

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ١٢٦.

(٣) المصدر السابق ١٣/ ١٢٧.

(١) تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٧/ ٣٦٢.



ويمكن إبراز بعض جوانب حكمة سيدنا يوسف عليه السلام في العناصر الآتية:

✽ حكمته عليه السلام في امتناعه عن المعصية وعدم استجابته لامرأة العزيز، خوفاً من الله تعالى، وحفظاً لنعمة التربية التي رباها إياه عزيز مصر.

قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَّقَتْ الْأُتْرُبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وهذا من تمام عصمته، وكمال حكمته عليه السلام، فقد ترك المعصية خوفاً من الله تعالى، ثم صيانة للمعروف الذي أسداه إليه العزيز.

✽ حكمته عليه السلام في اختيار بلية السجن على بلية الاستجابة لكيد النساء، لما في الاستجابة لهن من الوقوع في الفحشاء ومعصية الله تعالى. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وهذا من صعب الابتلاء الذي وقع فيه سيدنا يوسف عليه السلام، كما يفيد كلام الماوردي: «الاختبار مقرون بالاختيار، ولو تمنى العافية بدل ما كان يدعى إليه لعله كان يعافى، ولكنه لما قال: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمِمَّا

ابن أبي حاتم ٢١٠٣/٧

في لمح البصر، ثم تنكيره لها بهذه الصورة لينظر هل تقبل دعوة الهدى أم تعاند؟، ولقد كانت الأولى حيث هداها الله تعالى للإيمان.

٥. حكمة نبي الله يوسف عليه السلام.

ذكر الله تعالى نعمته على نبيه يوسف عليه السلام وهي إيتاء العلم والحكمة وهو في مقتبل عمره، فقال جل شأنه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

فقد فسر الحكم هنا بالحكمة، قال الزجاج: ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أي جعلناه حكيماً عالمًا، وليس كل عالم حكيماً، الحكيم العالم المستعمل علمه، الممتنع من استعمال ما يجهل فيه<sup>(١)</sup>.

وفسر مجاهد وغيره حكمة سيدنا يوسف عليه السلام بأنها العلم والفهم أو العقل والعلم، وذلك قبل أن ينعم الله تعالى عليه بالنبوة<sup>(٢)</sup>.

وفسرها عبد الرحمن بن زيد بأنها تأويل الكلام، العلم والحلم، على ما هو معروف من السورة من أن يوسف عليه السلام كان أعبر الناس<sup>(٣)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٩٩/٣.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٣/١٥، الكشف والبيان، الثعلبي ٢٠٧/٥.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/١٣، تفسير

الخروج من السجن حين جاءه رسول الملك حتى يستبين وجه الحق وتظهر براءته.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا قَلَمًا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَنَّهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

ولقد كان عدم استعجال سيدنا يوسف عليه السلام من العجائب، ولكنه عاد عليه بالخير العاجل، وهذا عكس ما حصل في طلب الإمارة، فإن كثيرًا من المفسرين ذكر أنه لما لم يتعجل في الخروج من السجن، آتاه العفو سريعًا، ولما طلب الإمارة - مع كونه أهلاً لها، فإنها تأخرت فترة، وكله بقدر الله تعالى الذي يدبر كل أمر، وقيل: إن سبب التأخير أنه لم يقل: إن شاء الله (٢).

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رحم الله أخي يوسف، لو لبثت في السجن، ثم جاءني الداعي لأسرعت) (٣).

قال ابن عادل الدمشقي نقلاً عن ابن الخطيب: «وهذا من العجائب؛ لأنه لما تأبى

يَدْعُوْنِي إِلَيْهِ» طولب بصدق ما قال، ويقال: إن يوسف عليه السلام نطق من عين التوحيد حيث قال: ﴿وَلَا أَتَصَرَّفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنِ مُنْكَأً﴾ فقد علم أن نجاته في أن يصرف سبحانه البلاء عنه لا بتكلفه ولا بتجنبه (١).

حكمته عليه السلام في دعوة رفقائه في السجن إلى الله تعالى برفق ولين، واختيار الوقت المناسب لدعوتهم حين عرضوا عليه الرؤيا، وذلك في الآيات (٣٧-٤٠).

ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى ﴿يَصْدِحِي السَّجْنَءَ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَتْسَمُ وَابْنَؤُكُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

وهنا مواعظ وعبر في دعوة سيدنا يوسف عليه السلام استفاد منها الدعاة من بعده، فالداعية الحكيم هو من ينتهز الفرصة السانحة لنشر دعوته، ويتفهم حال المدعوين ومدى تأهلهم لاستقبال دعوته، ويحتج عليهم بالبراهين الساطعة، وهذا باب واسع معروف في منهج الدعوة إلى الله تعالى.

حكمته عليه السلام في عدم استعجال

(١) لطائف الإشارات، القشيري ٢/ ١٨٣.

(٢) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٥/ ٢٣٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩/ ٢١١.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد رقم ٤١٩، ص ٦٨. قال السيوطي في الفتح الكبير ٢/ ١٢٥: إنه من مراسيل الحسن.

وحسن العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٢٧ بعض طرقه، ونقل عن المناوي تحسين بعض طرقه كذلك.

ولا يخالف هذا ما ورد في حديث عبد الرحمن بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإناك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمينٍ فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير<sup>(٣)</sup>).

لأن سؤال سيدنا يوسف للإمارة أجاب عنه العلماء بأجوبة ذكرها الإمام القرطبي: منها: أن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره.

ومنها: أنه لم يقل: إني حبيب كريم، ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال على الرغم من توفر الحساب والنسب والجمال فيه.

ومنها: أنه إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب منه، رقم ٦٦٢٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب: نذب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، رقم ١٦٥٢.

عن الخروج من السجن، سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه، ولما سارع في ذكر هذا الالتماس، أخر الله ذلك المطلوب عنه، وهذا يدل على أن ترك التصرف والتفويض إلى الله تعالى أولى<sup>(١)</sup>.

✽ حكمته عليه السلام في تأويل رؤيا الملك، وتدبير أمور مصر في سني المجاعة على غرار تأويله.

قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يوسف: ٤٦ - ٤٩].

✽ حكمته عليه السلام في طلب الإمارة حيث لم يكن بمصر حينئذ من هو أهل لها.

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥]. وفي هذا دليل على جواز أن يخطب الإنسان عملاً يكون له أهلاً وهو بحقوقه وشروطه قائم<sup>(٢)</sup>.

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١١/١٣٦.  
(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣/٥٠.



أَتَقَى ﴿النجم: ٣٢﴾.

ومنها: أنه رأى ذلك فرضاً متعيناً عليه، لأنه لم يكن هنالك غيره<sup>(١)</sup>. والولاية لا تدم إذا كان المتولي لها يقوم بما يقدر عليه من إقامة الشرع، وإيصال الحقوق إلى أهلها، وأنه لا بأس بطلبها إذا كان أهلاً، وأعظم كفاءة من غيره، وإنما المذموم إذا لم يكن فيه كفاءة، أو كان موجوداً من هو أمثل منه أو مثله، أو لم يرد بها إقامة أمر الله، بل أراد التروّس والمأكلة المالية<sup>(٢)</sup>.

ومن لطائف الآية ما يأتي:

أ. ما ذكره ابن عطية أن يوسف عليه السلام -بحكمته- قد فهم من الملك أنه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره في الملك، فألقى يده في الفصل الذي تمكنه فيه المعدلة ويترتب له الإحسان إلى من يجب ووضع الحق على أهله وعند أهله<sup>(٣)</sup>.

ب. ما ذكره البيضاوي أن فيها دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق

إلا بالاستظهار به<sup>(٤)</sup>.

ج. أن وصف سيدنا يوسف نفسه بأنه (حفيظ عليم) فيه معان عدة ذكرها المفسرون؛ منها: أنه حفيظ بتقدير أمور الخزائن أو البلاد، عليمٌ بساعة الجوع حين يقع، ومنها: أنه يقصد حفيظ لما وليتني عليم بجميع ألسن الغرباء الذين يأتونك، ومنها: أن المعنى حافظ لما استودعتني، عالم بما وليتني، ومنها: أنه حافظ للأنساب عالم بالألسن، أي: اللغات<sup>(٥)</sup>.

د. أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من الصفات الكاملة، من العلم وغيره، إذا كان في ذلك مصلحة وسلم من الكذب، ولم يقصد به الرياء، لقول يوسف عليه السلام هذا<sup>(٦)</sup>.

✽ حكمته عليه السلام في حوارهِ مع إخوته وهو يذكرهم بما فعلوه معه تلميحاً لا تصريحاً.

قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿قَالُوا أَوْ تِلْكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُ فَالْبَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [يوسف:]

(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي ١٦٨/٣  
(٥) انظر: تفسير مقاتل ٣٤٠/٢، جامع البيان، الطبري ١٤٩/١٦.  
(٦) تيسير اللطيف المنان، السعدي ص ٢٨٢.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢١٦-٢١٧.  
(٢) تيسير اللطيف المنان، السعدي ص ٢٨٢.  
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/٢٥٥.



[٨٩ - ٩٠].

٨. حكمة نبي الله يحيى عليه السلام.

وذلك في قول الله تعالى: ﴿يَبْنِي خُذِ الصِّبْغَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

فقد فسر مقاتل ومعمّر بن راشد وأبو العالية وغيرهم الحكمة هنا بأنها العلم والفهم، حيث أعطي الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال، حتى روي أنه أوتي الحكمة وهو ابن ثلاث سنين، وكان لا يلعب مع الصبيان، ويقول: ما للعب خلقنا<sup>(٣)</sup>.

٩. حكمة عشرة من الأنبياء ورد ذكرهم إجمالاً.

وهذا ما جاء في آية (وتلك حجتنا) وما تلاها في سورة الأنعام حيث ذكر الله تعالى عشرة من الأنبياء هم: نوح وإسحاق ويعقوب وأيوب وهارون وزكريا وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٣] وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ

﴿حكمته عليه السلام في تدبير حيلة استبقاء أخيه معه، وهي الواردة في قصة الصباغ وإخفائه في الطعام، وما تلى ذلك من أحداث، وذلك في الآيات (من)﴾ [٧٠ - ٨٠].

٦. حكمة نبي الله لوط عليه السلام. ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَفَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَرَزَةِ آلِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبِثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِءٍ فَسِيقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

حيث فسر البعض الحكم هنا بالحكمة والعلم بالله تعالى<sup>(١)</sup>.

٧. حكمة نبي الله عيسى عليه السلام.

وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

وقوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الصِّبْغَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

والحكمة هنا فسرت بأنها «تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق؛ لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ومجموعهما هو المسمى بالحكمة»<sup>(٢)</sup>.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٢/٦٢٢، جامع البيان، الطبري ١٨/١٥٥، تفسير ابن أبي حاتم ٧/١٤٠٠.

(١) التفسير المظهر، محمد ثناء الله ٦/٢١٠.  
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٨/٢٢٦.

وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَى وَإِلْيَاسَ  
كُلًّا مِّنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
وَيُوشَعَ وَطُومًا وَكَثًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾  
وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانَهُمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ  
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى  
اللَّهِ يَهْدِي بِهٖ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا  
لَحِطَّ عَنْهُمْ مَتَآكَفًا يُصَلُّونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ  
ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآيَاتِنَا لِيُبَيِّنَ لَهُمْ  
فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

[الأنعام: ٨٣-٨٩].

حيث ذكر من تفسيرات الحكم هنا أنها  
«العلم والفقه والفهم»<sup>(١)</sup>.

١٠. حكمة خاتم الأنبياء والمرسلين  
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا جاء منصوباً عليه في دعوة سيدنا  
إبراهيم عليه السلام، واستجابة الله تعالى  
لهذه الدعوة وامتنانه على الناس بإرسال  
خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ  
رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فكانت الاستجابة من الله تعالى لدعوة  
خليله إبراهيم عليه السلام بأن أرسل نبيه

(١) تأويلات أهل السنة، الماتريدي ١٥٦/٤،  
مفاتيح الغيب، الرازي ٣٩٩/٢.

محمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء  
والمرسلين، وآتاه ما لم يؤت أحد من  
الأنبياء قبله، وبين فضل نبوته على الناس،  
فقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا  
مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ  
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا  
لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ  
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ  
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَيِّنَ  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]<sup>(٢)</sup>.

قال ابن وهب: قلت لمالك: ما الحكمة؟  
قال: المعرفة بالدين، والفقه في الدين،  
والاتباع له<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن زيد: الحكمة: الدين الذي  
لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم،  
يعلمهم إياها، والحكمة: العقل في الدين،  
والحكمة: شيء يجعله الله في القلب، ينور  
له به<sup>(٤)</sup>.

(٢) انظر: معجم الأعلام والموضوعات في  
القرآن، عبدالصبور مرزوق ٥٥٣-٥٥٥.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٨٧/٣.

(٤) انظر: المصدر السابق.

## ثانيًا: الصالحون والحكمة:

أنعم الله تعالى على بعض عباده الصالحين بالحكمة، ويعد لقمان عليه السلام أشهر حكيم عبر تاريخ البشرية، حيث نص القرآن الكريم صراحة على إتيان الله تعالى الحكمة له كنعمة من النعم التي يؤتيها الله تعالى من يشاء من عباده، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

والحكمة الواردة في الآية جاء في تفسيرها عن مجاهد وقتادة وغيرهما أنها «الفقه والعقل والإصابة في القول في غير نبوة»<sup>(١)</sup>.

ولا مجال للحديث هنا عن صفة لقمان عليه السلام ونسبه والزمن الذي عاش فيه، فالذي يعنيننا هنا حكمته التي صرح بها القرآن الكريم والتي تعددت جوانبها على حد قول بعض المفسرين: «وحكمة لقمان مأثورة في أقواله الناطقة عن حقائق الأحوال والمقربة للخصفيات بأحسن الأمثال، وقد عني بها أهل التربية وأهل الخير، وذكر القرآن منها ما في هذه السورة، وذكر منها مالك في «الموطأ» بلاغين في كتاب «الجامع» وذكر حكمة له في كتاب «جامع العتبية» وذكر منها أحمد بن حنبل في «مسنده» ولا نعرف كتابًا جمع

(١) انظر: المصدر السابق ٢٠/١٣٤.

## حكمة لقمان<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت آثار كثيرة عن حكمة لقمان وصفتها وكيف استعملها، وطائفة منها أقوالاً وأفعالاً، ما لا يتسع المقام هنا لذكره تفصيلاً، ويكفي إيراد بعضه.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه ذكر لقمان الحكيم فقال: «ما أوتي ما أوتي عن أهل، ولا مال، ولا حسب ولا خصال، ولكنه كان رجلاً صمصامة<sup>(٣)</sup> سكيناً، طويل التفكير عميق النظر، لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد ييزق ولا يتنحج ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك، كان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكماء لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي»<sup>(٤)</sup>.

وهل حكمة لقمان فطرية أم مكتسبة؟ الذي نص عليه القرآن الكريم أن حكمة لقمان عليه السلام هي نعمة أنعم الله تعالى عليه بها، ولكن هذا لا يمنع أن من تمام نعمة الله تعالى عليه أن يوفقه لاكتساب شيء من

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١/١٥٠.

(٣) الصمصامة: اسم للسيف القاطع، وللرجل القوي.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٩٨/٩ رقم ١٧٥٣٧، الدر المنثور، السيوطي ٥١٣-٥١٢/٦.



### ثالثاً: معالم الحكمة عند الأنبياء والصالحين:

من خلال ما تقدم ذكره في المبحث السابق يمكن هنا إجمال معالم الحكمة عند الأنبياء الصالحين على النحو الآتي:

١. من معالم الحكمة عند الأنبياء:
١. مخاطبة الأنبياء أمهم على قدر عقولهم، ومراعاة مقتضى أحوالهم على اختلاف أقدارهم وأعمارهم.
٢. الترفق واللين في مخاطبة الولاة المعاندين ومحاورتهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، ومن أمثلة ذلك حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، وحوار موسى عليه السلام مع فرعون في سورة الشعراء وغيرها من السور.
٣. اللين في مخاطبة الأهل والأقارب كالوالدين والأبناء، والحرص على استجابتهم للدعوة إنقاذاً لهم من النار، ومن أمثلة ذلك حوار سيدنا نوح مع ابنه في سورة هود وحوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه في سورة مريم.
٤. استعمال الحجج القوية، والبراهين الظاهرة في دعوة الأنبياء لقومهم، لإقامة الحجة عليهم وإقناعهم باتباع الأنبياء، وذلك واضح في حوارات جميع الأنبياء والتي ورد طرف منها في

الحكمة من خلال التجارب والأحوال، والتمسك بالطاعات والبعد عن المعاصي، ويكون هذا من إيتاء الحكمة بإيتاء أسباب نيلها.

يؤيد هذا ما روي أن لقمان عليه السلام قيل له: «بم نلت هذه الحكم، وقد كنت راعياً؟ فقال: بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعني»<sup>(١)</sup>.

وروي أيضاً عنه قوله: «إني تعلّمت الحكمة من الحمقى، والأدب ممّن ليس له أدبٌ فإنّي كلّما رأيت منهم فعلاً مخالفاً لطبعي وقياساً في منظري تعودت المخالفة»<sup>(٢)</sup>.

وحكي عنه أنّه قال: إني تعلّمت الحكمة من العميان، فإنهم لا يضعون أقدامهم قبل الفحص، فإنّ وجدوا فيه تمكيناً يضعون ويمشون، وإلاّ فيتركون ويطلبون جهةً أخرى فيها تمكين؛ فلذا لا أفعل شيئاً بلا تأمل ما فيه، وفي عاقبته<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد ص ٤٩، والطبري في تفسيره ٢١ / ٦٧، وابن أبي شيبة في مصنفه رقم ٧٣٤٢٥ / ٧٤، باب كلام لقمان عليه السلام.

(٢) انظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، الخادمي ٢ / ٢٩٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ٣ / ٦٥.

## مجالات الحكمة

الحكمة مطلوبة في كل شيء قولاً وعملاً، وأي مجال تدخله الحكمة يكون صالحاً، ويكتب له النجاح والفلاح، وهذه أبرز مجالات الحاجة إلى الحكمة:

**أولاً: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى:**

الدعوة إلى الله تعالى من المهام السامية، حيث إنها في المقام الأول وظيفة الأنبياء والرسل، ثم وظيفة فئة من أتباعهم وهم العلماء والمصلحون، وإمامهم في هذا سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالْأَقْوَالِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد فسرت الحكمة هنا بأنها كتاب الله تعالى، والموعظة الحسنة، هي العبر التي هي حجة عليهم مما ذكرهم به من الآيات في كتابه، وفسرت الحكمة أيضاً بأنها النبوة، والموعظة بأنها القرآن<sup>(١)</sup>.

وفسر الرازي (الحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح

سور الأعراف وهود والشعراء.

٥. تباين أساليب الأنبياء والمرسلين في دعوة أتباعهم، واختيار كل نبي ما يناسب قومه من الطرق، وإن كان الجميع يتفقون على جعل الحكمة أساساً واضحاً، من أسس الدعوة، وطريقاً من طرقها.

٢. معالم الحكمة عند الصالحين:

١. استعمال الحكماء الصالحين الحكمة فيما وضعت له من إرشاد الناس وتعليمهم بالقول والفعل، وذلك من باب شكر المنعم جل وعلا.

٢. سير الحكماء الصالحين في الناس بالحسنى، بحيث لا يرتكبوا قبيحاً من الأفعال، ولا يصدر عنهم خبيثاً من الأقوال تؤثر عنهم.

٣. حرص الحكماء من الدعاة المخلصين على مخاطبة الناس على قدر عقولهم، ومراعاة أحوالهم، وضبط ذلك الخطاب بضابط الحكمة، ويفعله بما يناسب ظروف وأحوال المخاطبين، وسير السلف الصالح في هذا الشأن كثيرة ناصعة البياض.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٢٢٣/٣، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٤١١٥/٦.

للحق المزيل للشبهة و«الموعظة الحسنة»، وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها<sup>(١)</sup>.

ويمكن القول بأن الحكمة في الدعوة تكون بوضع الدعوة في موضعها، ومخاطبة كل واحد بما يناسب حاله ويليق به، إذ إن هذا أقرب لحصول المقصود منه، ولا شك أن الحكمة في الدعوة لها أهمية كبيرة، وذلك لأن «الحكمة إذا اقترنت بالدعوة فإنها تقوي الأمل واليقين، وترتفع بالمدعويين إلى مستوى الشعور بالمسئولية والتكليف، وإذا ما تأكد فيها هذا الشعور فسوف تتغير طباعهم وتعتدل مسالكهم ويصح توجيههم، فحق على الداعي إلى الله أن يعمل على إيقاظ هذا الشعور بالتي هي أحسن»<sup>(٢)</sup>.

أساليب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى:

من أبرز مقومات الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ما يلي:

١. معرفة طبائع الناس، وطبقات المدعويين.

وذلك لأن الناس ليسوا جميعًا على شاكلة واحدة، بل هم مختلفون في الميول

والأهواء، والعقل والذكاء، والشدة واللين، وبناء عليه فإنه من مقومات الحكمة أن يعي الداعية ذلك جيدًا حتى تثمر دعوته وتؤدي أكلها<sup>(٣)</sup>.

ويؤيد ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»<sup>(٤)</sup>.

وقول علي رضي الله عنه «حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»<sup>(٥)</sup>.

ودلالتهما واضحة على ضرورة مراعاة حال المدعو، حتى لا تؤدي الدعوة إلى فتنة أو نسبة الكذب لله تعالى أو لرسوله صلى الله عليه وسلم.

٢. النظر في الظروف الزمانية والمكانية.

من حكمة الداعية تخير الأوقات وانتهاز المناسبات، بحيث تقع دعوته في الموقع الصحيح، وهذا معلم كبير ومؤثر من معالم الحكمة وتلمسها، فلا يلقي المرء موعظته إلا في مكان مناسب، وفي وقت يحسن الإلقاء فيه، أما إذا كان المكان والزمان غير مناسبين، أو كان الناس عنه منصرفين، وعن

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٢٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في المقدمة ١١/١.

(٥) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن لا يفهموا.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢/ ٦٤٤.

(٢) انظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله، صالح الحميد ص ٤.



ويقول طلحة بن عمر: قلت لعطاء: إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة وأنا رجل في حدة، فأقول لهم بعض القول الغليظ؟ فقال: لا تفعل. يقول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

يقول عطاء: فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان المدعو ذا قرابة أو ولاية أو سلطة أو سطوة على الداعية، فينبغي أن يترقى الداعية به، والأمثلة في هذا القرآن منها دعوة سيدنا إبراهيم لأبيه والتي وردت مبسطة في قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مِنَ الْعَالَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) [مريم: ٤١-٤٥].

والآيات واضحة الدلالة على مدى حكمة سيدنا إبراهيم عليه السلام واستعماله التلطف والتودد مع أبيه في الحوار على الرغم من عناد الأب وكفره، ومع ذلك فقد حفظ خليل الرحمن لأبيه مودة الأبوة ومكانتها، ولم يأل جهدًا في دعوته، بل والاستغفار له.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦/٢.

حديثه غير راغبين فلا يتلکم<sup>(١)</sup>.

ويؤيد هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السامة علينا)<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية للبخاري: عن أبي وائل، قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أتني أكره أن أملككم، وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها، مخافة السامة علينا<sup>(٣)</sup>.

٣. التلطف في الدعوة بالقول الحسن والأسلوب اللين.

القول الحسن إذا أحكم صاحب الدعوة قوله وسدد لفظه، وألان جانبه للناس فقد أوتي من الحكمة بابًا عظيمًا، يقول الله عز وجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

(١) انظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله، الحميد ص ٣١، أدب الموعظة، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا رقم ٦٨، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة رقم ٢٨٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة، رقم ٧٠.

ومنها دعوة موسى وهارون عليه السلام لعدو الله فرعون، حيث أمرهما القول بالقول اللين في قول الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

والقصد من القول اللين ومعناه أمور عدة، منها: أن لا يبقى له حجة، ولا يقبل له معذرة، ومنها: أن ذلك لرعاية حق تربية فرعون لموسى فالوالد أولى بالرفق<sup>(١)</sup>.

ومن أحكام الآية الكريمة - كما ذكره الإمام القرطبي - أنها «دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمة، ألا تراه قال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ [طه: ٤٤].

وقال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرْفُ﴾ [طه: ٤٦].

فكيف بنا فنحن أولى بذلك. وحيث يحصل الأمر أو الناهي على مرغوبة، ويظفر بمطلوبه، وهذا واضح<sup>(٢)</sup>.

### ثانيًا: الحكمة في التعليم:

التعليم من المواطن التي تتطلب قدرًا كبيرًا من الحكمة، وذلك لأنه مهمة تتنقل بالمرء من مرحلة الجهل إلى مرحلة العلم، وكلا المرحلتين يختلف عن الآخر، فيتطلب

لكل حالة حكمتهما، والتعليم لا يستغني عنه المجتمع بكل فئاته، ولهذا يستلزم الأمر أن يكون المعلم على قدر كبير من الحكمة التي تعينه على أداء مهمته.

ولو رجعنا إلى كتاب الله تعالى لوجدنا أمثلة كثيرة تبرهن على الحكمة في التعليم والتعلم، ومن ذلك قصة موسى والخضر. وهذه القصة تفيض عبرًا وعظات فيما يتعلق بشأن التعليم وغيره.

والقصة اشتملت كما هو معروف على الآيات (٦٠-٨٢) من سورة الكهف.

ومن ملامح الحكمة في القصة ما يأتي: ﴿أَنَّ الْخَضِرَ كَانَ بَيْنِي أَحْكَامَهُ عَلَى الْحَقَائِقِ وَالْأَسْرَارِ، حَيْثُ ذَكَرَ مَبْرَرَاتَ فَعَلِهِ بَعْدَ فِرَاغِهِ مِنْهَا جَمِيعًا﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ الْحِكْمَةَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ، حَيْثُ «أَسَدَّ الْإِرَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ الْمُبَاشِرُ لِلتَّعْيِيبِ، وَثَانِيًا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى نَفْسِهِ، لِأَنَّ التَّبْدِيلَ بِإِهْلَاكِ الْغُلَامِ وَإِجَادِ اللَّهِ تَعَالَى بَدْلَهُ، وَثَالِثًا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لِأَنَّهُ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي بُلُوغِ الْغُلَامِينَ، أَوْ لِأَنَّ الْأَوَّلَ فِي نَفْسِهِ شَرٌّ وَالثَّالِثُ خَيْرٌ وَالثَّانِي مَمْتَزَجٌ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْعِيبَ أَضَافَهُ إِلَى إِرَادَةِ نَفْسِهِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْقَتْلَ

(١) انظر: الباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٢٣٤/٨، نظم الدرر، البقاعي ٢٩٠/١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٩/١١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠٢/١.

عليه الصلاة والسلام يخاطب الناس على قدر عقولهم، ومواقفه في ذلك لا تحصى.

ويؤيد ذلك ما تقدم ذكره من قول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»<sup>(٤)</sup>.

وقيل لبعض الحكماء: «ما بالك لا تطلع أحدًا على حكمة يطلبها منك، فقال: اقتداء بالباري جلّ وعلا حيث قال: ﴿وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَهُمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]»<sup>(٥)</sup>.

### ثالثًا: الحكمة في التعامل مع الخلق:

يتطلب التعامل مع الناس قدرًا من الحكمة تناسب كل إنسان، وتناسب كل موقف من المواقف، ومن أبرز ملامح الحكمة في التعامل مع الناس حسن الخلق معهم.

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وفي معنى الحسن هنا أقوال طيبة للمفسرين، منها: قول الحسن أن المراد به: لين القول، من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه،

عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهًا على أنه من العظماء في علوم الحكمة، فلم يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية، ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله تعالى لأن التكفل بصلاح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا لله تعالى<sup>(١)</sup>.

✽ أن الحكيم المحقق هو الذي يبنى أمره على الحقائق لا على الظاهر، فإذا رأيت ما يكرهه طبعك وينفر عنه عقلك فاعلم أن تحته أسرارًا خفية وحكمًا بالغة، وأن حكمته ورحمته اقتضت ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومن ملامح الحكمة في التعليم كذلك ما يأتي:

✽ أن لا يشق المعلم أو الفقيه على الناس في الأحكام ويخفف على نفسه، فقد قال رويم: «من حكم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها؛ فإن التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع»<sup>(٣)</sup>.

✽ مخاطبة الناس على قدر عقولهم، «فالواجب على الحكيم والعالم التحرير أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما قال وما فعل، فقد كان

(١) السراج المنير، الشربيني ٢/ ٣٩٩.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١/ ٢٠٢.

(٣) الرسالة القشيرية، ١/ ٨٥.

(٤) سبق تخريجه قريبًا.

(٥) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني ص ١٨٠.



## آثار الحكمة

الحكمة سمة من سمات الأنبياء والصالحين والعلماء العاملين، وهي نعمة من الله تعالى يؤتيها من يشاء، وتحقق للمرء فوائد وتعود عليه بآثار طيبة أبرزها ما يأتي:

١. تحصيل الخير الكثير.

أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن من رزق الحكمة فقد رزق خيراً كثيراً، فقال جل شأنه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والخير الكثير مفسر لدى العلماء تبعاً لتفسيرهم للحكمة، فمن رأى أنها القرآن فسر الخير الكثير بما يترتب على حفظ القرآن وفهمه من علوم ومعارف، وكذا من فسرّها بالنبوة أو فسرّها بالسنة على نحو ما تقدم ذكره في معاني الحكمة، ومهما أوتي المرء من الحكمة ومن العلوم والمعارف فهو وإن كان كثيراً في مقاييس البشر لكنه قليل إذا نظرنا إلى علم الله تعالى.

وقد روي في هذا الشأن عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «قالت اليهود: يا محمد تزعم أننا قد أوتينا الحكمة، وفي كتابك: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾» [البقرة: ٢٦٩].

ثم يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

ومنها: قول أبي العالية: إنه المعروف، ومنها: قول الماوردي: إن المعنى: خالقوا الناس بخلق حسن<sup>(١)</sup>.

ولا مانع من إرادة كل تلك المعاني، وذلك لأن الحسن يشملها جميعاً، والناس يرضيها حسن التعامل، ويتأتى بمعاملة الناس ما لا يتأتى غيرها.

وفي حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)<sup>(٢)</sup>.

قال الأخوذي في معنى (وخالق الناس بخلق حسن): «أي: تكلف معاشرتهم بالمعاملة في المعاملة، وغيرها من نحو طلاقة وجه، وخفض جانب، وتلطف وإيناس، وبذل ندى، وتحمل أذى، فإن فاعل ذلك يرجى له في الدنيا الفلاح، وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٢/٢٩٦، النكت والعيون، الماوردي ١/١٥٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث أبي ذر الغفاري، ٣٥/٢٨٤، رقم ٢١٣٥٤، والترمذي في كتاب البر، باب معاشره الناس، رقم ١٩٨٧.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.  
(٣) تحفة الأخوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٦/١٠٤.

قِيلَ لَا [الإسراء: ٨٥].

فكيف يكون هذا؟ فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] حِكْمَهُ وَعَجَائِبُهُ<sup>(١)</sup>.

وإذا جرينا على تفسير الحكمة بأنها القرآن على نحو ما تقدم في معانيها، فيكون «من أوتي القرآن أوتي خيرًا كثيرًا، أوتي صحة في جسم وطهارة في نفس، وكمالًا في عقل، وسعة في مال، وعزة في تواضع، وشدة في رحمة، ورسوخًا في علم، وصدقًا في قول»<sup>(٢)</sup>.

ومن الخير المتحصل من الحكمة أنها سبب من أسباب السعادة، فالسعادة تكمن في المقام الأول في قوى النفس، أي: في اتصافها بالفضائل والمكرمات.

يقول ابن مسكويه فيما يحكيه عن حكماء الإغريق واليونان: «لما قسموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في أول الكتاب، (وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة)، وأجمعوا على أن هذه الفضائل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها إلى غيرها من فضائل البدن ولا

(١) انظر: تفسير السمرقندي ٢٨/٣، الكشف والبيان، الثعلبي ٢٠٢/٦، معالم التنزيل، البيهقي ٢٢٢/٣.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الشاذلي ص ١٩١.

ما هو خارج البدن، فإن الإنسان إذا حصل تلك الفضائل لم يضره في سعادته أن يكون سقيمًا ناقص الأعضاء مبتلي بجميع أمراض البدن، اللهم إلا أن يلحق النفس منها مضرة في خاص أفعالها مثل فساد العقل ورواءة الذهن وما أشبهها. وأما الفقر والخصول وسقوط الحال وسائر الأشياء الخارجة عنها فليست عندهم بقادحة في السعادة ألبتة<sup>(٣)</sup>.

## ٢. إصابة الحق.

من آثار الحكمة توفيق الله تعالى صاحبها إلى إصابة الحق في أقواله وأفعاله، وذلك لأن حكمته ترشده إلى حسن الفعل، وصحيح الأقوال، ولهذا كان ما يصدر عن الحكماء من أفعال وأقوال تراثًا تتناقله الأجيال، وعبرًا تتردد عبر الأزمنة.

ويستفاد أثر الحكمة في إصابة الحق قولاً وعملاً من قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فإنه تعالى «لما ذكر أحوال المنفقين للأموال فيما سبق من الآيات، وأن الله

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه ص ٩٢، وهذا هو المنهج الذي أخذ به حجة الإسلام الغزالي في حديثه عن أمهات الفضائل حيث جعلها أربعة الحكمة والشجاعة والعدل والعفة.

انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي ٣/٥٥، ٤/٤٢٥، إلا أنه في الموضوع الثاني نسبها للإمام الشافعي رحمه الله.

أعطاهم، ومن عليهم بالأموال التي يدركون بها النفقات في الطرق الخيرية، وينالون بها المقامات السنية، ذكر ما هو أفضل من ذلك، وهو أنه يعطي الحكمة من يشاء من عباده، ومن أراد بهم خيراً من خلقه، والحكمة هي العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات»<sup>(١)</sup>.

وقال أحد المعاصرين مبيّناً ثمرة الحكمة في إصابة الحق في القول والعمل: «الحكمة كما قال الجمهور: العلم والفقه والقرآن، فهي لا تختص بالنبوة، بل هي أعم منها، وأعلها النبوة، والرسالة أخص، وذلك يرشد إلى تمييز الحقائق من الأوهام، والتفرقة بين الوسواس والإلهام، وآلة الحكمة: العقل، فمن عرف ما في القرآن من أحكام وأسرار، وأدرك بسلامة عقله ما في الإنفاق من فوائد تعود على الأمة بالخير وعلى المنفق بالثواب الجزيل، لم يتأثر بوساوس الشيطان، ولم يتردد في البذل والإنفاق في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>.

ومن فوائد الحكمة كذلك أنّها تدلّ على المعرفة بالله عزّ وجلّ مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحقّ للعمل

بمقتضاه والبعد عمّا سواه<sup>(٣)</sup>.

٣. صيانة العقل من الشطط والسفه. الحكمة سمة عالية، وهدية غالية تصان بها العقول، وتحفظ بها النفوس من السفه والشطط، والطيش والهوى -أعني عقول ونفوس المتصفين بها- ولهذا اشتملت الحكمة كما ذكره بعض العلماء على: الذكاء والذكر والتعقل وسرعة الفهم وقوته وصفاء الذهن وسهولة التعلم، وبهذه الأشياء يكون حسن الاستعداد للحكمة<sup>(٤)</sup>.

والناظر في آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العقل يجد أنها تعلي من شأن العقل كثيراً، وتبين مكانته، وتحث على التفكير في كل شيء التفكير في خلق الله تعالى، والتفكير في عواقب الأمور قبل الإقدام على شيء منها.

والحكيم يستعمل حكمته في كل شيء، فيصون عقله من سوء التفكير، وعليه يصون نفسه من سوء الصنيع، فلا تعتري تصرفاته سفاهة ولا يطرأ عليها شطط أو خلل.

٤. الذكر الحسن.

من آثار الحكمة حسن الذكر بين الناس في حياة الإنسان وبعد مماته، ولذلك فإن صاحب الحكمة يلبس صاحبها تاج الكرامة

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ١٧٠٥/٥.

(٤) انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه ص ٢٧.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٥٧.

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي ٦٤/٣.



ومن آثارها في الشأن كذلك أن صاحبها يكون كالغيث حيثما حلّ نفع، وأينما وضع أفاد، فيتعلّم منه الكبير والصغير، ويكون مصدر خير بإذن الله (٢).

والحكمة ترفع الإنسان درجات وتشرفه، وتزيد من مكانته بين الناس، فقد روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع العبد المملوك حتّى تجلسه مجالس الملوك) (٣).

وقد روي عن عبيد الله بن عمر بن عبد الوهاب بن محمد المكيّ قال: «قال لقمان لابنه: يا بنيّ، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتك؛ فإنّ الله تبارك وتعالى ليحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء» (٤).

فكون الإنسان ممدوح الخلال، مأثور المحامد، يعتمد على مدى استقامته على

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم، الحكمة ١٧٠٥/٥.

(٣) أخرجه الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٤١، وأبو نعيم في الحلية ١٧٣/٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٨٤/١ رقم ٧١.

وقد ضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢٣/١، وحكى أنه من قول أنس والحسن وليس مرفوعاً.

(٤) أخرجه أحمد في الزهد، رقم ٥٥٢، ص ٨٩، وابن المبارك في الزهد والرقائق رقم ١٣٨٧، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله/ رقم ٦٧٤.

في الدنيا والآخرة، وينفع الله تعالى بها طلاب العلم ومريدي الخير.

وليس أدل على ذلك من سيدنا لقمان عليه السلام الذي ذكره الله تعالى في كتاب الله العزيز في آيات تتلى ويتعبد بها، في سورة تحمل اسمه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

فحكّمته عليه السلام جعلت منه رجلاً ذا منزلة كبيرة بين الناس حيث بلغ الفضل عليهم بالوعظ والتعليم والهدي والإرشاد، كما أشار إليه الرازي في تفسيره: آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكراً في نفسه وحين جعلناه واعظاً لغيره، وهذا لأن علو مرتبة الإنسان بأن يكون كاملاً في نفسه ومكملاً لغيره.

فقوله تعالى: ﴿إِنِ اشْكُرْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ [لقمان: ١٣].

إشارة إلى التكميل، وفي هذا لطيفة وهي أن الله ذكر لقمان وشكر سعيه حيث أرشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي عليه السلام الذي أرشد الأجانب والأقارب، فإن إرشاد الولد أمر معتاد، وأما تحمل المشقة في تعليم الأبعد فلا، ثم إنه في الوعظ بدأ بالأهم، وهو المنع من الإشراك (١).

(١) مفاتيح الغيب، ١١٩/٢٥.

دين الله تعالى ظاهراً وباطناً، وقيامه بالواجبات الدينية والدنيوية، والتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وهذا من الحكمة التي لا ينبغي أن يغفل عنها المرء، قال ابن القيم: «فإن أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب»<sup>(١)</sup>.

٥. التوفيق في الإصلاح بين الناس. من آثار الحكمة توفيق الله تعالى صاحبها في الإصلاح بين الناس، ولهذا نجد القرآن الكريم يشير في قضية الصلح بين الزوجين إلى ضرورة توفر النية الحسنة في الصلح سواء كانت النية من طرفي النزاع أو من الحكم القاشم بالصلح.

قال تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

وأكثر المفسرين على أن المقصود بقوله تعالى ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ يعني: الحكمين، حيث روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم<sup>(٢)</sup>، ولا يتحقق

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٣٦٨/٢.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣٧١/١، تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٤٥٥/١، جامع البيان، الطبري ٣٣٢/٨.

الصلح على أيديهما إلا إذا اتصفا بالحكمة، وذلك لأنهما يتدخلان بين شخصين بينهما من الخصوصية والخفاء والستر ما ليس بين غيرهما، لما للحياة الزوجية من خصوصيتها المعروفة.

وحكمتهما تظهر في تقديري في الأمور التالية:

✽ إخلاص النية في الصلح، بحيث يحققه الله تعالى على أيديهما، وعدم التأثر بالهوى أو الميل لطرف على حساب الطرف الآخر.

✽ رأب الصدع والشقاق بين الزوجين على وجه السرعة وعدم التراخي فيه، لأن التراخي يزيد الأمر تعقيداً.

✽ الحرص على كتمان ما يباح به الزوجان من أسرار وخفايا في العلاقات الزوجية، وذلك لأن حفظ السر أمانة، والأمانة من الإيمان.

٦. الثواب العظيم في الآخرة.

والحكمة تدعو صاحبها للعمل على وفق الشرع، فيصيب في القول والفعل والتفكير، ويسير على هدى وبصيرة، فالحكمة تدفع المرء إلى التحلي بالفضائل واجتناب الرذائل، وتدعوه إلى القول العدل، والحكم بالعدل، وهذا كله من طرق نيل الثواب في الآخرة.

ويمكن استنباط نيل صاحب الحكمة

الحكمة محبوب من الناس، مقبول قوله، محمود فعله، يقبل عليه الناس لينهلون من حكمته أو يسترشدوا برأيه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى نعمة الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين جميعاً، أو على الأوس والخزرج خاصة، حيث جمعهم وألف بين قلوبهم، وأزال ما كان بينهم من ضغينة الجاهلية وعدائها، وذلك بتوفيق الله عز وجل، ثم بحكمة النبي محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فقال جل شأنه ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِتَقْوَىٰهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٣﴾ [الأففال: ٦٢ - ٦٣].

ويستنبط من الآيتين الكريميتين أن الحكمة سبب من أسباب تأليف القلوب واجتماعها حيث ختمت الآية بوصف الله تعالى بالحكمة، وحكمة الرسول صلى الله عليه وسلم من نعم الله تعالى التي أنعم بها عليه.

ومن لطائف الآية ما يشير إليه النيسابوري من كون الائتلاف والمحبة سببه حسن الدعوة وحسن الأسلوب، حيث يقول ما ملخصه: «المحبة لا تحصل إلا عند تصور

الثواب في الآخرة من عموم قول الله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال السعدي في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: «لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حلق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد، ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم، وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام في موضع الإحجام»<sup>(١)</sup>.

قال أبو القاسم الجنيد بن محمد، وقد سئل: بم تأمر الحكمة؟ قال: (تأمر الحكمة بكل ما يحمد في الباقي أثره، ويطيب عند جملة الناس خبره، ويؤمن في العواقب ضرره)<sup>(٢)</sup>.

## ٧. تأليف القلوب.

من الآثار الطيبة للحكمة أنها تورث صاحبها ألفة بين الناس وقبولاً، فصاحب

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٥٧.

(٢) موسوعة الأخلاق، موقع الدرر السنية.



حصول خير من المحبوب. ثم إن كان سبب انعقاد المحبة أمراً سريع التغير كالمال أو الجاه أو اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال، وإن كان سبب انعقاد المودة كما لا حقيقياً روحانياً دائماً، لم يتصور لها تغير وزوال.

ثم إن العرب كانوا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب والفرق، فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين أخرى، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى عبادة الله تعالى والإعراض عن الدنيا والإقبال على تحصيل السعادة الأبدية الروحانية توحد مطلبهم صاروا إخواناً متراحمين متحابين في الله ولله<sup>(١)</sup>.

ومن علامات ائتلاف القلوب على الحكيم: أن تجده محبوباً بين الناس مقبولاً، وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب هذا الحب، فقد أشار ابن مسكويه إلى ضرورة حب الحكماء وإكرامهم لما لهم من أثر طيب في تربية النفوس وتهذيب الطباع<sup>(٢)</sup>.

#### ٨. الغبطة لصاحب الحكمة.

من ثمرة إيتاء الحكمة أن تجد صاحبها

(١) انظر: غرائب القرآن، النيسابوري ٣/ ٤١٤.

(٢) انظر: تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه ص ١٦١.

مغبوطاً من الناس، نظراً لما تحصل عليه من هذه النعمة القيمة التي يزن بها أموره وتصرفاته، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)<sup>(٣)</sup>.

وتسمية ذلك في الحديث (حسداً) ليس على سبيل الذم، لأن الحسد نوعان: محمود ومذموم، فالمحمود هو أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة، ويؤيده قول الله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]<sup>(٤)</sup>.

والمذموم هو أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم، وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

ولما كان مذموماً؛ لأن فيه تسفيه الحق

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم ٧٣، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم ٨١٦.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢/ ٧١.

سبحانه، وأنه أنعم على من لا يستحق <sup>(١)</sup>.  
وفي معناها يقول قتادة: حسدوا هذا  
الحيّ من العرب على ما آتاهم الله من  
فضله، بعث الله منهم نبياً، فحسدوهم على  
ذلك <sup>(٢)</sup>.

موضوعات ذات صلة:

الباطل، الحق، الدعوة، اللهو

(١) المصدر السابق ٧١ / ٢.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٧٨ / ٨.